اسناد الكتب السماوية الثلاثة

التوراة والانجيل والقرآن

اعداد

الاستاذ المساعد

داود سلمان صالح الدليمي

كلية العلوم الإسلامية/ جامعة بغداد

اسناد الكتب السماوية الثلاثة

التوراة والإنجيل والقرآن

لقد اخبرنا القرآن الكريم عن تحريف كتب اهل الكتاب فقال : ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ (١) .

وقال تعالى ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ (٢) .

وتدل الآية الثانية ، على انهم قد حرفوا كتبهم، ومالم يحرفوه منها كان مصيره النسيان والأهمال ، او الضياع.

وستظهر لنا هذه الحقيقة ، التي اشار اليها القرآن الكريم ، من هذا العرض التاريخي الموجز للكتاب المقدس.

ان الكتاب المقدس لدى اليهود والنصارى ، ينقسم على قسمين:

القسم الاول : العهد القديم

وهو التسمية العلمية لاسفار اليهود ، وما التوراة الا جزء من العهد القديم، لكنها قد تطلق على الجميع من باب اطلاق الجزء على الكل لاهميتها.

والعهد القديم مقدس ، لدى اليهود والنصارى على السواء ، لكنهم لم يتفقوا على عددَ اسفاره، فبعض اليهود يزيدون اسفارا لايقبلها آخرون منهم ، وترى فرقة البروتستانت ، أن عدد اسفار العهد القديم ، تسعة وثلاثون سفراً.

ويقسم العهد القديم حسب رأي هذه الطائفة ، على ثلاثة اقسام:

١- بنتاتيك: أي كتب موسى الخمسة ، وهي :

---

(١) سورة البقرة، من الآية : ٧٩.
(٢) سورة المائدة ، من الآية : ١٣.

أ- سفر التكوين

ب- سفر الخروج

ج- سفر اللاويين

د- سفر العدد

هـ سفر التثنية

٢- النبييم : أي الانبياء، وهو مجموعتان:

أ- الانبياء الأوَل .

ب- الانبياء المتأخرون.

٣- كتوبيم : أي الكتابات والأشعار.

اما فرقة الكاثوليك ، فتزيد سبعة اسفار أخرى ، فيصبح عدد اسفار العهد القديم، في نظرهـا ، سـتة واربعين سفرا.

اذ اعترفت الكنيسة الكاثوليكية سنة ١٥٤٦م، بأسفار لم تكن معترفا بها قبل ذلك التاريخ ، أهمها الاسفار السبعة وهي : طوبيا، ويهوديت، والحكمة، ويسوع ابن سيراخ ، وباروخ والمكابيون الاول والثاني.

واما طائفة السامريين من اليهود ، فلا تؤمن بغير اسفار موسى الخمسة، وتبعتها فـي ذلـك ، فرقـة الصدوقيين، ويزيد بعض السامريين سفري يوشع والقضاة لاسفار موسى ويرون في هذه الاسـفار الـسبعة كتابهم المقدس.

وان بعض رجال اللاهوت من اليهود لايوافقون على ضم سفري الجامعة ونشيد الاناشيد، لاسفار العهد القديم [١] .

---

(١) انظر: مقارنة الاديان اليهودية ، ص ٢٣٤-٢٣٦ و ص ٢٤٩-٢٥٠ باختصار ، وهو من تاليف احمد شلبي، ط٤ سنة ١٩٧٤م ،ملتزمة الطبع والنشر، مكتبة النهضة المصرية، وانظر العرب واليهود في التاريخ ، ص ١٤٨-١٥٤ و ص ١٦٤-١٦٥، باختصار، وهو من تاليف احمد سوسة ، ط٢ ، سلسلة الكتب الحديثة، العربي للاعلان والنشر والطباعة.

إذن لم تتفق كلمتهم على كتاب واحد ، لان ما اثبتتهُ فرقة منهم ، قد نفته اخرى [١] .

هل لاسفار موسى الخمسة اسناد متصل ؟

قيل إنَّ هذه الاسفار لموسى عليه السلام ، ويبطله ماورد في آخر التوارة من ذكر وفاة موسى، وكيفية اقامة بني اسرائيل مناحة له بعد وفاته، لذا قال بعضهم بلا دليل. إنَّ الفصلين الاخيرين من سفر التثنية ، ليوشع بن نون، زادهما على الاسفار الخمسة، وقال بعضهم: إنَّ هذه الاسفار من مصنفات يرميا، وقال بعضهم إنَّها من مصنفات عزرا، كتبها اجابة لطلب الشعب نسخةَ التوراة منه، بعد رجوعهم من جلاء بابل [٢] .

ويقرر التاريخ أن موسى عليه السلام كتب نسخة التوراة ، ووضعها مع اللوحين في التابوت، ومرت الايام، حتى أتى عهد سليمان عليه السلام ، ففتح التابوت ، الذي كان موضوعا في الهيكل ، فلم يعثر على نسخة التوراة فيه، وانما وجد اللوحين الحجريين فقط . ويشهد لذلك ماورد في الكتاب المقدس ذاته : " لم يكن في التابوت الا لوحا الحجر اللذان وضعهما موسى هناك في حوريب ، حين عاهد الرب بني اسرائيل، عند خروجهم من ارض مصر " الملوك الأول ٨ : ٩ .

وتعرض بيت المقدس ، بعد سليمان عليه السلام ، للنهب والسلب والتدمير ، عدة مرات، ولم يكن ثمة ذكر للتوراة، وبعد سقوط مملكة اسرائيل بقيت مملكة يهوذا تعاني من الاضطراب والفوضى. وكان اتجاهها يميل إلى الزندقة والكفر غالبا، وقبيل سقوطها آل السلطان إلى الملك يوشيا (حوالي سنة ٦٢٩-٥٨٩ ق.م)، واراد الملك يوشيا ان يعود بالناس للايمان واتباع التوراة، فانتهز الكاهن حلقيا فرصة هذا الميل عند الملك، فادعى بعد سبعة عشر عاماً، أنه عثر على نسخة التوراة واعطاها شافان الكاتب [١] .

لذا فإن نسخة التوراة التي وجدت في زمان يوشيا، لا اعتماد عليها، لان تواترها منقطع قبل زمان يوشيا، ومع كونها غير معتمدة ضاعت هذه النسخة غالبا، قبل حادثة بخت نصر، وفي حادثته انعدمت التوراة

---

(١) انظر ص ٩ الفارق بين الخالق والمخلوق، لعبد الرحمن بك باجه جي زاده، طبع بمطبعة التقدم بمصر، سنة ١٣٢٢هـ. وطبع في هامشه كتابان : الاول، الاجوبة الفاخرة عن الاسئلة الفاجرة للقرافي المتوفى سنة ٦٨٤هـ والثاني هداية الحيارى من اليهود النصارى لابن قيم الجوزية المتوفى سنة ٧٥١هـ.

(٢) انظر: المصدر نفسه ، ص ٩.

وسائر كتب العهد العتيق عن صفحة العالم رأساً ، ولما كتب عزرا هذه الكتب على زعمهم ضاعت نسخها، واكثر نقولها في حادثة انتيوكس، واتفق علماء اهل الكتاب ان عزرا قد وقع في الخطأ ، لأنه قد اعتمد في نقله للتوراة على الاوراق الناقصة، وهذا الامر يفند دعواهم ، بان عزرا قد كتب التوراة بالالهام [٢] ، وكتب التواريخ شاهدة بان حال كتب العهد القديم ، قبل حادثة بخت نصر، كان ابتر ، وبعد حادثته مابقي لها غير الاسم ولو لم يدون عزرا هذه الكتب، ماعرفت في زمانه فضلا عن الزمان الآخر، وقد ورد في السفر المنسوب إلى عزرا، النص الآتي: – " احترقت التوراة ، وما كان احد يعلمها ، وقيل ان عزرا جمع مافيها مرة أخرى ، باعانة روح القدس" .

وقال كليمنس اسكندريا نوس : " إن الكتب السماوية ضاعت، فألهم عزرا ان يكتبها مرة اخرى " .

وقال ترتولين : " المشهور ، إن عزرا كتب مجموع الكتب بعدما أغار اهل بابل بروشالم " .

وقال تهيوفلكت : " الكتب المقدسة انعدمت راسا فأوجدها عزرا مرة اخرى بالهام" .

وقال جان مل زكاتلك : – اتفق اهل العلم ، على ان نسخة التوراة، الاصلية ، وكذا نسخ كتب العهد العتيق، ضاعت من ايدي عسكر بخت نصر، ولما ظهرت نقولها الصحيحة بواسطة عزرا، ضاعت تلك النقول ايضا في حادثة انتيوكس " [٣] .

وورد في مقدمة الكتاب المقدس من الطبعة الكاثوليكية لسنة ١٩٦٠م مانصه:

" ما من عالم كاثوليكي في عصرنا يعتقد ان موسى ذاته كتب كل التوراة منذ قصة الخليقة ، او أنه اشرف على وضع النص الذي كتبه عديدون بعده، بل يجب القول : إن ازديادا تدريجيا سببته مناسبات العصور التالية الاجتماعية والدينية " [٤] .

وقال ول ديورانت : " لم يبق لدينا من شريعة موسى سوى الوصايا العشر " ( ).

---

(١) انظر : مقارنة الأديان ، ص ٢٥٤-٢٥٥.

(٢) انظر : اظهار الحق ٤٢/١-٤٣ لرحمة الله بن خليل الرحمن الهندي ، طبع سنة ١٣٠٥هـ في المطبعة العامرة.

(٣) انظر: اظهار الحق ، ج١ ، ص ١٦٦-١٦٧.

(٤) العرب واليهود ، ص ١٦٨ . ويبدو ان في الكلام بترا، يكمله قولنا : اضيف للتوراة.

وتشكك لودس في صحة رواية التوراة حتى الوصايا العشر ، اذ قال : " اننا لانستطيع ان نؤيد صحة رجوع تاريخ أي قسم من الاسفار الخمسة وحتى الوصايا العشر ، إلى عصر موسى، لأن ماورد من روايات في هذه الاسفار قد تعرض اكثر من بقية اسفار التوراة إلى تكرار اعادة التصنيف والى تغيير وتوسيع مستمرين على مر العصور " (٢) .

وقال احمد سوسة: –

" ان اصل الشريعة التي كتبت على لوحي الحجر اختفت ولم يبق لها وجود"(*) .

يتبين مما سبق عرضه لاقوال مؤرخي العهد القديم، أن اسفار العهد القديم ، ليس لها سند متصل إلى موسى عليه السلام ، او إلى من نسبت لهم ، ولادليل لهم، حين يطالبون باثباتها، إلا الظن والتخمين، ولما عجزوا عن اثبات سند لها، ادعوا بانها الهامية، بسبب ضياع اصولها الاولى.

متى دونت التوراة

لايمكننا ان نحدد التاريخ الذي دونت فيه التوراة، على وجه الدقة ، اذ وردت اقوال شتى في ذلك ، ولكن يرى المحققون من مؤرخي التوراة والدارسين لها، أن فترة التدوين قد بدأت على يد عزرا، منذ سبي اليهود إلى بابل، في القرن السادس قبل الميلاد (٥٨٦–٥٣٩ق.م) واستمر تدوين التوراة، واسفار العهد القديم بعد ذلك (٤) .

فقال ويلز– " إن اسفار العهد القديم جمعت لأول مرة في بابل، وظهرت في القرن الخامس قبل الميلاد " (٥) .

---

(١) مقارنة الاديان، ص ٢٥٥ ، نقلا عن قصة الحضارة ، ج١، ص ٢٧١، وانظر العرب واليهود ، ص ١٦٨.
(٢) العرب واليهود في التاريخ، ص ١٥٩.
(٣) العرب واليهود في التاريخ ، ص ١٥٦.
(٤) انظر : مقارنة الاديان، ص ٢٦٠.
(٥) المصدر نفسه ، ص ٢٥٨.

ومال احمد سوسة إلى رأي ويلز ، ورأي ول ديورانت، " أن اسفار التوراة الخمسة، قد اتخذت صورتها الحاضرة، عـــام ٣٠٠ ق.م " [١] ونقـل اجمـاع العلمـاء على " ان اقـدم ماكتب مـن اسفار التـوراة، هو سفر التكوين " [٢] .

الرد على دعوى اليهود ، بأن كتبهم الهامية

رد رحمة الله الهندي [٣] ، على هذا الادعاء، بانه باطل قطعا، ويدل على بطلانـه، وجـود الاختلافـات المعنوية الكثيرة، والاغلاط والتحريفات القصدية وغير القصدية في مواضع عدة منها .

ولما ثبت وقوع الغلط والاختلاف والتناقض والتحريف فيها، دل ذلك على انها ليست الهامية، لأن الكـلام الالهامي مبرأ من ذلك كله.

ومما يدل على كونها ليست الهامية ، ماورد فيها من قصص تسيء إلى عصمة الانبياء، ومـن هـذه القصص:

ان لوطا شرب الخمرة وزنى بابنتيه، وحملتا بالزنى منه ، وان داود عليه السلام زنى بامرأة أوريا، وحملـت بالزنى منه ، وانه قد اشار إلى امير العسكر، ان يدبر امرا يقتل به أوريا ، فاهلكه بالحيلة ، وتـصرف فـي زوجته [٤] .

القسم الثاني : العهد الجديد

وهو يشمل الاناجيل ، ورسائل الرسل

١- الاناجيل، وهي القسم الثاني من مصادر المسيحية بعد العهد القديم، والاناجيل المعتمـدة عنـد النصارى اربعة:

---

(١) العرب واليهود في التاريخ ، ص ١٥٩، وهذا الرأي يدل على ان التوراة قد كتبت بعد اكثر من سبعة قرون، لان موسى عليه السلام قد عاش في القرن الثالث عشر قبل الميلاد.

(٢) مقارنة الاديان، ص ٢٥٨ ، نقلا عن ول ديورانت في قصة الحضارة ،ج٢، ص ٣٦٧-٣٦٨.

(٣) هو رحمة الله بن خليل الرحمن الهندي الدهلوي الحنفي، عالم بالدين والمناظرة، توفي بمكة سنة ١٣٠٦هـ. انظر ترجمته في هدية العارفين، ج١، ص ٣٦٦، والاعلام ، ج٣، ص ١٨.

(٤) انظر : اظهار الحق ، ج١، ص٦ و ص ١٢٦.

أ- انجيل متي

ب- انجيل مرقس

ج- انجيل لوقا

د- انجيل يوحنا

وهذه الاناجيل الاربعة ، هي التي تعترف بها الكنائس، وتقرها الفرق المسيحية ، وتأخذ بهـا، ولكـن التأريخ يروي لها انه كانت في العصور الغابرة أناجيل اخرى، قد اخذت بها فرق قديمة، وراجت عنـدها ، ولم تعتنق كل فرقة إلا انجيلها.

٢- رسائل الرسل:

وهي القسم الثالث من مصادر المسيحية ، ويسمونها – ماعدا رسالة اعمال الرسل – الاسفار التعليمية، كما يسمون الاناجيل ورسالة اعمال الرسل – الاسفار التاريخية، لأن الاناجيل تعنى بشرح حياة السيد المسيح عليه السلام وحكاية احواله ، وبعض اقواله ومواعظه ، اما الرسل فانها تعنى بالناحية التعليمية.

وعدد الرسائل اثنتان وعشرون رسالة

الاولى: وتسمى اعمال الرسل، تنسب إلى لوقا صاحب الانجيل.

واربع عشرة : كتبها بولس.

ورسالة: كتبها يعقوب.

ورسالتان: كتبهما بطرس.

وثلاث رسائل : كتبها يوحنا.

ورسالة : كتبها يهوذا.

وهناك رسال اخرى ، يسمونها السفر النبوي، غير الاثنتين والعشرين رسالة، وهي رؤيا يوحنا، وهذه الرسالة تخالف الرسائل السابقة، في منحاها ومنهجها، اذ تعنى رسالة رؤيا يوحنا ببيـان الوهيـة المـسيح،

وسلطانه في السماء، وعلمه بحال الكنيسة ، والقوامين على المسيحية بعد المسيح ، اما الرسائل السابقة فهي وعظة وتعليمية في جملتها.

وتشرح هذه الرسائل المسيحية ، اكثر من الاناجيل ، وقد كتبت باليونانية كلها. [1]

هل للاناجيل اسناد متصل ؟

كتب نورتن كتابا في الاسناد، وطبع في بلدة بوست سنة ١٨٣٧م فقال، في المجلد الاول من هذا الكتاب في الديباجة:

" قال اكهارن في كتابه إنه كان في ابتداء المسيحية ، في بيان احوال المسيح رسالة مختصرة ، يجوز ان يقال إنها هي الانجيل الأصيل .. وكان هذا الانجيل بمنزلة القالب " .

دل قول اكهارن على أن الاناجيل المتداولة بين النصارى ليست اصيلة، وأنها لاتخلو عن الزيادة والنقصان [2] ، لذا فهذه الاناجيل ليست الانجيل الذي كان بيد المسيح في بداية رسالته. ولو فرض وجود بعض من الانجيل الحقيقي في سطور هذه الاناجيل الموجودة ، فأن تعيينه مستحيل وعصمته من التحريف غير ثابتة، لأن الاناجيل الموجودة غير صالحة للاحتجاج بها، لأنه لاحجة مع الاحتمال[3] .

ولما كثرت الاناجيل ، ارادت الكنيسة في آخر القرن الثاني او ابتداء من القرن الثالث ان تحافظ على الأنجيل الصادق جهد إمكانها.

فاختارت الاناجيل الاربعة المعتمدة ، ولم تكن ثمة إشارة إلى إنجيل متي، ومرقس، ولوقا ، ويوحنا ، قبل ذلك التاريخ.

---

(١) انظر: محاضرات في النصرانية، ص ٤٠ و ص ٦٨-٦٩، كتبها محمد ابو زهرة ، وهي تبحث في الادوار التي مرت عليها عقائد النصارى وفي كتبهم ، وفي مجامعهم المقدسة وفرقهم، ط٣، سنة ١٩٦٦م، دار عطوة للطباعة.

(٢) انظر: اظهار الحق ، ج١، ص ١٣٧-١٣٨.

(٣) انظر : الفارق بين الخالق والمخلوق ، ص ١١.

وإن أول من ذكر هذه الأناجيل ارينبوس سنة ٢٠٠م تخميناً. ثم ذكرها كليمنس سنة ٢١٦م، فأظهر أن الأناجيل الأربعة واجبة التسليم [١].

ولم تُعرف الأناجيل الأربعة معرفة كاملة إلا في مجمع نيقية سنة ٣٢٥م. وقد وقع لهم من الاحداث في هذه الفترة مايذهب اللب، فلم يتمكنوا أن يحافظوا على كتبهم في اثنائها. فأصدر أحد اباطرة الروم سنة ٣٠٣م أمراً بهدم الكنائس، وإحراق الكتب وعدم اجتماع المسيحيين لأداء عباداتهم . وماترك عالم منهم بالديانة الا قتل، ودام الاضطهاد لهم إلى صدر القرن الرابع، وليس للنصارى من دليل يثبتون به صحة نسبة هذه الاناجيل إلى قائليها، إذ لاراوي يرويها منذ ان كتبت في القرن الأول، حتى ذيوعها بعد سنة ٣٦٤م [٢] .

ولايعتقد النصارى أن هذه الاناجيل نازلة على عيسى عليه السلام ، أو أنه كتبها، وإنما هي منسوبة إلى بعض تلاميذه، ومن ينتمي اليهم [٣] .

وخلاصة مايقال: إنه لم ينقل الانجيل الاصلي منذ عهد عيسى عليه السلام حتى زمن تدوين الاناجيل الاربعة، بالاسناد المتصل، لامكتوباً ولا رواية.

انجيل متي :

يرى علماء المسيحية القدماء كافة ، وكثير من المتأخرين ، أن متي قد كتب انجيله بالعبرانية او السريانية، وقالوا إن انجيله هو أول مابشر به بعد رفع المسيح بثمانية اعوام، ومتي هو احد تلاميذ المسيح الاثني عشر، وقد كان قبل اتصاله بالمسيح من جباة الضرائب، وقتل في سنة ٧٠م ببلاد الحبشة، وفي رواية اخرى، قتل سنة ٦٢م.

وفقدت نسخته الاصلية ولم يبق عندهم الا ترجمته باليونانية. ويجهلون اسناد هذه الترجمة ، كما اعترف بذلك جيروم، وهو من افاضل قدمائهم ، فلم يعلم اسم المترجم يقينا، وان حالة مجهولة ، فلا يعلمون هل هو

(١) انظر: إظهار الحق : ١/١٣٨-١٣٩ ، ومحاضرات في النصرانية : ٤١و٨٩.
(٢) انظر: النصرانية : ٨٩-٩١.
(٣) انظر: المصدر نفسه : ٥٤ و ٧٨.

من المسيحيين او اليهود او غيرهم. وهل كان امينا في ترجمته او لا ، وهل كان عالما باللغتين العبرانية واليونانية معا، او لا . كما انهم يجهلون تاريخ تدوين هذا الانجيل. اما مايقوله بعضهم رجماً بالغيب لعل فلانا او فلانا ترجمه ، فهذا الظن لايثبت اسناد الكتاب إلى المصنف ، لذا فان مؤلف ميزان الحق، مع تعصبه، لم يقدر على بيان سند هذا الانجيل ، بل قال ظنا: ((إن الغالب ، ان متي كتبه في اللسان اليوناني))[1] .

انجيل مرقس :

كان مرقس يهوديا لاويا ، وكانت اسرته باورشليم وقت ظهور المسيح، ولم يكن من تلاميذ المسيح الحواريين، بل هو تلميذ لبطرس، وقد اختير من بين السبعين الذين نزل عليهم روح القدس، بعد رفع المسيح، حسب اعتقادهم.

وكانت ولادته، باقليم الخمس مدن، وصنف انجيله، بطلب من اهالي رومية، وكان ينكر الوهية المسيح، ومات مقتولا في سجن الاسكندرية سنة ٦٨م.

وكتب انجيل مرقس باليونانية، ولكن اختلف في تاريخ تدوينه وفي كاتبه، هل هو مرقس او بطرس، فقال بعضهم: ان مرقس كتب انجيله، بعد وفاة بطرس، وقيل : ان انجيل مرقس كتب بتدبير بطرس سنة ٦١م [2] . وقال هورن: ألف الانجيل الثاني سنة ٥٦ ومابعدها إلى سنة ٦٥م، والاغلب انه الف سنة ٦٠ او سنة ٦٣ م [3] .

انجيل لوقا :

اتفق النصارى، على ان لوقا لم يكن من تلاميذ المسيح، ولامن تلاميذ حواريه، وانما كان تلميذا لبولس، العدو الالد للنصرانية، ورفقائه، فهو لم ير المسيح اصلا، ثم اختلفوا اختلافا كليا، بمولد كاتب هذا الانجيل وصناعته، فقيل إنّ لوقا انطاكي ولد بانطاكية، وقيل : إنه روماني ولد بايطاليا، اما مهنته، فقيل :

---

(١) انظر: اظهار الحق، ج١، ص ٥٥ ، والفارق بين الخالق والمخلوق، ص ١٩-٢١، ومحاضرات في النصرانية ، ص ٤٢-٤٥.
(٢) انظر : الفارق بين الخالق والمخلوق ، ص ٣١٦-٣١٧، ومحاضرات في النصرانية، ص ٤٦-٤٧.
(٣) اظهار الحق ، ج١، ص ٥٧-٥٨.

إنه كان طبيبا، وقيل : كان مصورا، واختلف فيمن كُتب لهم هذا الانجيل ، فقيل: لليونان، وقيل: لرجل من علماء الروم، يسمى ناوفيلا، وقيل : كتب للمصريين.

واختلفوا كذلك في تاريخ تدوينه، فقال لاردن: إن لوقا كتب انجيله بعدما حرر مرقس انجيله، وذلك بعد موت بطرس وبولس، فتبين ان انجيله ليس الهاميا كما زعموا [١] .

وقال هورن: الف الانجيل الثالث سنة ٥٣ أو سنة ٦٣ أو سنة ٦٤م [٢] .

ولما لم يثبت ان لوقا من تلاميذ المسيح ولامن تلاميذ تلاميذه ، فان روايته عن المسيح او عن تلاميذ المسيح ليست رواية من شاهد وعاين. لذا فالسند غير متصل بين لوقا والمسيح، او تلاميذ المسيح، لان كل ماثبت من صلته برجال المسيحية أنه كان من اصحاب بولس او تلاميذه [٣] .

انجيل يوحنا

تعتقد اغلب الطوائف النصرانية، أن كاتب هذا الانجيل، هو يوحنا الحواري، احد تلاميذ المسيح الاثني عشر ، وأبوه زبدي الصياد.

ويرى بعضهم أن يوحنا لم يكن من التلاميذ ، ولا من الرسل [٤] ، لذا قال استادلن: إن انجيل يوحنا كافة ، قد صنفه طالب من طلبة مدرسة الاسكندرية [٥] .

وكانت فرقة الوجين، في القرن الثاني، تنكر هذا الانجيل، وجميع ما اسند إلى يوحنا [٦] ، وكان فاستس ، وهو من اعظم علماء فرقة ماني كيز، ينادي في القرن الرابع: ان انجيل يوحنا الجديد، ماصنفه المسيح ، ولا الحواريون ، بل صنفه رجل مجهول الاسم، ونسب إلى الحواريين ورفقاء الحواريين ، ليعتبره الناس[٧].

---

(١) انظر: الفارق بين الخالق والمخلوق، ص ٣٢٥-٣٢٦، ومحاضرات في النصرانية، ص ٤٧-٤٩.
(٢) اظهار الحق ، ج١، ص ٥٧-٥٨.
(٣) انظر: محاضرات في النصرانية، ص ٨٠.
(٤) انظر: الفارق بين الخالق والمخلوق ، ص ٣٤٠-٣٤١.
(٥) انظر: اظهار الحق، ج١، ص ٥٧.
(٦) محاضرات في النصرانية، ص ٥٠.
(٧) انظر: اظهار الحق، ج١، ص ٥٧.

ولقد ورد في دائرة المعارف البريطانية ، التي اشترك في تأليفها خمسمائة من علماء النصارى مانصه: " أما انجيل يوحنا فانه لامرية ، ولاشك، كتاب مزور، اراد صاحبه مضادة اثنين من الحواريين بعضهما لبعض، وهما القديسان يوحنا ومتي " [1] ...

الهام اناجيل النصارى

وقد ألف يوحنا انجيله، اجابة لطلب الاساقفة، الذين التمسوا منه ان يكتب لهم انجيلا، يثبت فيه، الوهية المسيح، لذا فلا يصح ان يقال عن هذا الانجيل : انه الهامي، وإن كونه اول من اقر بالوهية المسيح، يدل على أن الاناجيل الثلاثة ، لم تذكر شيئا عن لاهوت المسيح، وهذا يؤكد ان هذه الفكرة طارئة بعد القرن الاول الميلادي ، إذ كان الناس لايعرفون شيئا عن ذلك [2] .

أما بشأن اثبات سنده ، فقال رحمة الله الهندي:

لم يثبت بالسند الكامل، ان الانجيل المنسوب إلى يوحنا من تصنيفه بل ههنا امور تدل على خلافه [3] ...

الرد على دعوى يعتقد النصارى كاليهود ، بان العهد القديم، واناجيلهم ورسائلهم، قد كتبت بالهام، أي عن طريق الوحي ، فهي حق وصدق حسب زعمهم.

ويرد عليهم لتفنيد دعواهم هذه بما يأتي:

١- أن النصارى جميعا، يتفقون على أن هذه الاناجيل، لم تنزل على عيسى عليه السلام ، ولم يكتبها نفسه، وانما هي منسوبة لبعض تلاميذه ، ومن ينتمي اليهم [4]. وليس عندهم دليل يثبتون به أن المهلمين رسل. كما ان كتابها، لايدعون انهم رسل، عدا بولس، ولم يكن من التلاميذ الحواريين للمسيح بالاجماع،

---

(١) محاضرات في النصرانية، ص ٥٠.
(٢) انظر: الفارق بين الخالق والمخلوق ، ص ٣٤١-٣٤٢ ، والنصرانية ، ص ٥٣.
(٣) اظهار الحق، ج١، ص ٥٦.
(٤) انظر: محاضرات في النصرانية ، ص ٥٤ وص ٧٨.

ولا من تلاميذه العشرين والمائة، ولا من السبعين الذين ذكرهم لوقا [١] . علما بان دعوى الالهام ليست محل اجماع عندهم [٢] .

٢- أن دراسة تاريخها تثبت ان هذه الاناجيل منقطعة السند، عمن نسبت اليهم، وهي لم تعرف معرفة كاملة الا في مجمع نيقية سنة ٣٢٥م [٣] .

٣- ان وقوع الاختلاف اللفظي والمعنوي، بين هذه الاناجيل، يثبت ان اصحابها ليسوا ملهمين ، لان المنزل واحد ، وهو الله تعالى ، ولايصح ان ينسب له التناقض، او الاختلاف [٤] .

٤- اذا كانت رسالة الاعمال هي المصدر المثبت لالهام الرسل فانها قد فقدت صلاحيتها للاعتماد ، لان لوقا ، قد ثبت انه لم يكن ملهما اصلا ، لعدم وجود الدليل الذي يثبت الهامه، ولكون السند منقطعا ، بين لوقا والتلاميذ، والمسيح عليه السلام على فرض صحة نسبة ما أسند اليه [٥] .

عجز النصارى عن الأتيان باسناد متصل لأناجيلهم ورسائلهم:

يقر علماء النصارى بأنهم غير قادرين علي ان ياتوا بأسناد متصل لاناجيلهم ورسائلهم، بسبب وقوع المصائب والفتن عليهم، إلى سنة ثلثمائة وثلاث عشرة، ومابعدها.

وأن الروايات التي وصلت اليهم عن كتبهم، بتراء، وقد وثقت بها الاجيال دون تمحيص ونقد. وليس في كتب اسنادهم الا الظن والتخمين [٦] .

اما صفة الاسناد الذي نطالبهم به ، فهو ان يروي الثقة بواسطة او بوسائط عن الثقة الاخر، بأنه قال: إن الكتاب الفلاني من تصنيف فلان الحواري، او فلان النبي، وسمعت هذا الكتاب كله من فيه، او قرأته

---

(١) انظر: المصدر نفسه، ص ٨٢.
(٢) انظر: المصدر نفسه، ص ٨٢-٨٣، تجد اقوال بعض علماء النصارى، لنقد هذا الادعاء.
(٣) انظر: المصدر نفسه، ص ٨٩-٩١.
(٤) انظر: الفارق بين الخالق والمخلوق ، ص ١٢ وص ٣٢٦-٣٢٧ ، ومحاضرات في النصرانية، ص ٨٣-٨٤.
(٥) انظر: محاضرات في النصرانية ، ص ٨١-٨٢.
(٦) انظر: اظهار الحق، ج١، ص٤٢ و ص٥٧ و ص ١٤٧-١٤٨، والفارق بين الخالق والمخلوق، ص ٩.

عليه، او اقر عندي مصنفه، ان هذا الكتاب من تصنيفه ، على ان تكون الواسطة او الوسائط من الثقات الجامعين لشروط الرواية.

ولاريب انهم غير قادرين على الاتيان بمثل هذا الاسناد [1] .

إسناد القرآن الكريم :

خصَّ الله ﷻ امة محمد ﷺ بنعم عدة ، دون سائر الملل، ومن هذه النعم، أنه قد خصها بحفظ كتابها القرآن الكريم – اذ مكن الله المسلمين ان ينقلوه بالاسناد المتصل المتواتر.

وقد تعهد الله سبحانه بحفظ القرآن الكريم اذ قال : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [2] .

وكان من أثر ذلك ان انصرفت همة الرسول ﷺ ، وصحبه الكرام، إلى حفظ القرآن الكريم واستظهاره لكونهم امة أمية، ومن شأن الأُمي أنْ يُعَوِّلَ على حافظته ، فيما يهمه امره، ولاسيما إذا أُوتي من قوة الحفظ والاستظهار، ما أُوتيه العرب على عهد نزول القرآن الكريم، إذ امتازوا بسرعة الحفظ، وسيلان الاذهان ويشهد لذلك حفظهم لانسابهم وأيامهم واشعارهم. [3]

ولم تصرفهم عنايتهم بحفظ القرآن الكريم ، واستظهاره ، عن عنايتهم بكتابته، مع ندرة أدوات الكتابة في زمنهم، من اجل زيادة التوثق والاحتياط في حفظه، حتى تظاهر الكتابة الحفظ، ويعاضد النقش اللفظ، وقد كان التعويل على الحفظ في الصدور يفوق التعويل على الحفظ بين السطور. وذلك لقوة اذهان العرب آنذاك ، حتى تمكنوا من حفظ كتاب الله سبحانه عن ظهور قلب ، وقد كانت الامم من قبلهم لا تقرأ كتبها إلا من الصحف ، ولهذا قيل في صفة هذه الامة: (صدورهم أناجيلهم) [4] .

---

(1) انظر: اظهار الحق : ١٤٧/١ ومحاضرات في النصرانية ٩٠-٩١.
(2) سورة الحجر الآية : ٩.
(3) انظر مناهل العرفان في علوم القرآن : ٣٣/١ و ٢٣٩.
(4) انظر: الموضوعات لابن الجوزي : ٣٠/١ وتفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ١٠/١ لنظام الدين النيسابوري ، المطبوع بهامش جامع البيان في تفسير القرآن للطبري.

وأكد ابن الجزري [1] هذا الأمر فقال :

(إنَّ الاعتماد في نقل القرآن على حفظ القلوب والصدور، لا على خط المصاحف والكتب، وهذه أشرف خصيصة من الله تعالى لهذه الامة... وذلك بخلاف اهل الكتاب الذين لايحفظونه الا في الكتب ، ولايقرؤونه كلَّهُ إلا :ظراً لاعن ظهر قلب) [2] .

ولاخلاف بين المسلمين أنَّ القرآن الكريم الذي بين ظهرانيهم هو الذي أُنزل على النبي محمد ﷺ ، وأنه مبرأ من الزيادة والنقصان في حروفه وكلماته، ومن ادَّعى زيادةً عليه او نقصاناً منه فقد أبطل الأجماع، وخالف كتاب الله، وماجاء به الرسول ﷺ ، وساعُلم من الدين بالضرورة، لأن القرآن الكريم قد نقل بالتواتر محفوظاً في الصدور، ومكتوباً في المصاحف [3] .

وقد كتب القرآن الكريم كلُّه على عهد رسول الله ﷺ لكن غير مجموع في موضع واحد، ولامرتب السور [4] .

وعلل الخطابي ت ٣٨٨ هـ ذلك فقال: ربما لم يجمع ﷺ القرآن في المصحف، لما كان يترقبه من ورود ناسخ لبعض أحكامه، او تلاوته، فلما انقضى نزوله بوفاته ، الهم الله الخلفاء الراشدين ذلك، وفاءً بوعده الصادق بضمان حفظه على هذه الامة [5] .

وقال الماوردي ت ٤٥٠هـ : ليس من شرط التواتر ان يحفظ كل فرد جميع القرآن، بل إذا حفظ الكلُّ الكلَّ ولو على التوزيع كفى.

---

(١) هو شمس الدين ابو الخير، محمد بن محمد بن علي بن يوسف الجزري الدمشقي ولد سنة ٧٥١هـ ، مات سنة ٨٣٣هـ ، كان شيخ القراء في زمانه، ومن كبار حفاظ الحديث. انظر تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان: ٢٦٥/٣-٢٦٦ والاعلام لخير الدين الزركلي: ٤٥/٧-٤٦.

(٢) مناهل العرفان : ٢٣٥/١، ومباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح : ٦٨-٦٩.

(٣) انظر: الجامع لاحكام القرآن للقرطبي : ٨٠/١-٨١.

(٤) انظر الاتقان في علوم القرآن للسيوطي : ٥٧/١.

(٥) انظر الاتقان في علوم القرآن للسيوطي : ٥٧/١.

ومما يدل على كثرة الحفاظ في عهده ﷺ للقرآن الكريم قتل عشرات القتلى في حادثة بئر معونة، وقيل قتل يوم اليمامة سبعون من القراء أي من الحفاظ لكتاب الله تعالى. وهو نحو العدد الذي قتل في وقعة بئر معونة [1] .

والمستشرقون مع تحامل بعضهم على الاسلام، فأنهم لايجدون مطعنا صحيحا من تلك الجهة قط ، فقال المستشرق الفرنسي (ديمومبين) : إن المنصف لامناص له من ان يقر بأن القرآن الحاضر، هو القرآن الذي كان يتلوه محمدﷺ[2] .

شروط قبول الكتاب السماوي

لابد لكون الكتاب سماويا واجب التسليم، من شروط يتصف بها ، والا عُمِّي على الناس تمييز الكتاب الحق من غيره، وهذه الشروط هي:

١- ان يثبت الكتاب السماوي ، أولا ، بدليل تام، أنه قد كتب بواسطة النبي الفلاني، ووصل بعد ذلك الينا، بالسند المتصل في جميع طبقاته، المتواتر في عامة مراتبه، بلا تغيير ولاتبديل [3] .

٢- ان يكون الرسول الذي تنسب اليه الكتاب، قد ادعى أنه اوحي اليه، وعلم صدقه، وان يدعم بمعجزة تنقل بالتواتر، وأن تثبت نسبة الكتاب اليه بالتواتر كذلك.

٣- الا يكون ذلك الكتاب متناقضا [4] .

اما الاستناد إلى شخص ذي الهام ، بمجرد الظن والوهم، فلا يكفي في اثبات الكتاب انه من تصنيف ذلك الشخص، وكذلك أن مجرد ادعاء فرقة او فرق لايكفي فيه، ... اذ لا وثوق بكتاب ، قيل عنه إنه سماوي ، بمجرد اسناده إلى نبي او حواري، او قيل عن الكتاب إنه الهامي، ولن يكون واجب التسليم الا ان

---

(١) انظر : الاتقان: ٧١/١ ومناهل العرفان: ٢٣٥/١ ومباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح : ٦٥-٦٩.
(٢) التفكير الفلسفي في الاسلام لعبد الحليم محمود : ٥٠.
(٣) انظر: اظهار الحق، ج١، ص ٤١ ، والفارق بين الخالق والمخلوق ، ص ٩.
(٤) انظر: محاضرات في النصرانية ، ص ٧٧-٧٨ باختصار.

يتصف بما ذكر من شروط [1] . ومن نظر في القرآن الكريم ، وتاريخ جمعه، علم بأنه قد نقل بالتواتر جيلا بعد جيل محفوظا في الصدور ، ومكتوبا في السطور ، وانه قد انزل على محمد ﷺ المؤيد بالمعجزات ، الثابت صدقهُ بين قومه . وانه ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ [2] .

اما كتابا اهل الكتاب فانهما كتابان سماويان قد أنزلا على نبيين صادقين، ومؤيدين بمعجزات، وهما موسى عليه السلام ، الذي انزلت عليه التوارة ، وعيسى عليه السلام ، الذي انزل عليه الانجيل، لكن كتابيهما قد حرفا ، وانقطع اسنادهما، فلم يصلا الينا كما أنزلا ، وأكبر دليل يثبت ذلك عدم اتفاق اليهود فيما بينهم على عدد اسفار التوراة، وعدم اتفاق النصارى على انجيل واحد. والحمد لله الذي خص القرآن بحفظه.

وان تكفل الله سبحانه بحفظ كتابه، جعل اللبس يرتفع عنه، حتى اطمأنت الانفس جميعا لصحته، فلم يقع بين فرق المسلمين خلاف في حرف منه، لكونه قد نقل بالتواتر كافة عن كافة [3] .

واكد العز بن عبدالسلام [4] ذلك فقال:

" فلو اجتمع الاولون والآخرون، على ان يزيدوا فيه كلمة او ينقصوا كلمة، لعجزوا عن ذلك ، ولايخفى ماوقع من التبديل في التوراة والانجيل " [5] .

فنعمة الله على امتنا بحفظ كتابها هي من اعظم ما من به سبحانه عليها.

---

(1) انظر: اظهار الحق، ج1، ص ٤١-٤٢ ، والفارق بين الخالق والمخلوق : ٩.

(2) سورة فصلت من الآية ٤٢.

(3) انظر الالماع ، ص ٦.

(4) هو سلطان العلماء، ابو محمد عز الدين، عبدالعزيز بن عبدالسلام بن القاسم بن الحسن بن محمد المهذب السلمي الدمشقي ، المشتهر بالعز بن عبدالسلام المتوفى سنة (٥٧٧-٦٦٠هـ). وانظر في ترجمته: البداية والنهاية، ج١٣ ، ص ٢٣٥-٢٣٦ ، وشذرات الذهب، ج٥، ص ٣٠١-٣٠٢ والاعلام ، ج٤، ص ٢١، وانظر ترجمته في مقدمة كتابه الآتي ، بقلم محققه، ص ٤-٨.

(5) بداية السول في تفضيل الرسول ﷺ للعز بن عبدالسلام ، تقديم محمد أديب كلكل ، ملتزم الطبع والنشر والتوزيع ، مكتبة دار الدعوة، حماة، سورية، دون تاريخ.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١- الاتقان في علوم القرآن لجلال الدين عبدالرحمن السيوطي ، ت ٩١١هـ طبع في دار الندوة ، بيروت وطبع في هامشه اعجاز القرآن لابي بكر الباقلاني ت ٤٠٣هـ.

٢- إظهار الحق لرحمة الله بن خليل الرحمن الهندي طبع سنة ١٣٠٥هـ في المطبعة العامرة.

٣- الاعلام قاموس تراجم لاشهر الرجال من العرب والمستعربين والمستشرقين تأليف خير الدين الزركلي ، ط٦ ، سنة ١٩٨٤م، دار العلم للملايين .

٤- الالماع إلى معرفة اصول الرواية وتقييد السماع لابي الفضل عياض بن موسى اليحصبي ت ٥٤٤هـ ، مطبعة السنة المحمدية سنة ١٩٧٠م ، تحقيق احمد صقر ، دار التراث ، القاهرة.

٥- بداية السّول في تفضيل الرسول (صلى الله عليه وسلم) للعز بن عبدالسلام ت ٦٦٠هـ، تقديم محمد أديب كلكل، ملتزم الطبع والنشر والتوزيع ، مكتبة دار الدعوة ، حماة □ سوريا ، دون تاريخ.

٦- البداية والنهاية للحافظ ابن كثير الدمشقي ت ٧٧٤ هـ ، منشورات مكتبة المعارف، بيروت ، ط٥ ، سنة ١٩٨٣م.

٧- تاريخ اداب اللغة العربية لجرجي زيدان ، الطبعة الجديدة راجعها وعلق عليها د.شوقي ضيف ، دار الهلال.

٨- تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان، لنظام الدين النيسابوري المطبوع بهامش جامع البيان في تفسير القرآن للطبري.

٩- التفكير الفلسفي في الاسلام للدكتور عبدالحليم محمود ، منشورات دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط١، سنة ١٩٧٤.

١٠- شذرات الذهب في أخبار من ذهب لعبد الحي بن العماد الحنبلي ت ١٠٨٩هـ، نشر مكتبة القدس سنة ١٣٥١هـ.

١١- العرب واليهود في التاريخ، تأليف احمد سوسة ، ط٢، سلسلة الكتب الحديثة، العربي للنشر والاعلان والطباعة.

١٢- الفارق بين الخالق والمخلوق لعبد الرحمن بك باجه جي زاده، طبع بمطبعة التقدم بمصر سنة ١٣٢٢هـ، وطبع في هامشه كتابان : الاول: الاجوبة الفاخرة عن الاسئلة الفاجرة للقرافي ت ٦٨٤هـ ، والثاني: هداية الحيارى من اليهود والنصارى لابن قيم الجوزية، ت ٧٥١هـ .

١٣- مباحث في علوم القرآن للدكتور صبحي الصالح ، طبع سنة ١٩٨١م، دار العلم للملايين.

١٤- محاضرات في النصرانية ، كتبها محمد ابو زهرة ط٣ سنة ١٩٦٦، دار عطوة للطباعة.

١٥- مقارنة الأديان ، تأليف د. احمد شلبي ، ط٤ ، سنة ١٩٧٤م، ملتزمة الطبع والنشر، مكتبة النهضة المصرية.

١٦- مناهل العرفان في علوم القرآن، وهو من تأليف محمد عبدالعزيز الزرقاني، ط٣، دار احياء الكتب العربية بمصر، ودار احياء التراث العربي ، بيروت.

١٧- الموضوعات لابي الفرج عبدالرحمن بن علي بن الجوزي القرشي ، ت ٥٩٧هـ، تحقيق عبدالرحمن محمد عثمان ، ط١، سنة ١٩٦٦م مطبعة المجد.

١٨- هدية العارفين، أسماء المؤلفين وآثار المصنفين لمؤلفه اسماعيل باشا البغدادي ، استانبول ، سنة ١٩٥١م.